حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية
ISSN: 1112-7880 EISSN: 2602-5361
المجلد 19/العدد 1 (جوان 2025)، ص139- 155

تجليات الفصول ومتعلقاتها في شعر محمود درويش

Manifestations of the seasons and their connections in the poetry of Mahmoud Darwish

علي ثامري[1]، علي خضري[*2]، رسول بلاوي[3]

[1] خريج ماجستير من جامعة خليج فارس- بوشهر (إيران)، sameriali99@gmail.com

[2] أستاذ مشارك بجامعة خليج فارس- بوشهر (إيران)، Alikhezri@pgu.ac.ir

[3]استاذ بجامعة شهيد تشمران أهواز- أهواز (إيران)،r.balavi@scu.ac.ir

تاريخ الإيداع: 2025/02/23 تاريخ القبول: 2025/03/09 تاريخ النشر: 2025/03/01

ملخص:

يتناول هذا المقال موضوع مظاهر الفصول ومتعلقاتها التي تحتوي على الجمال، والتي تُعد من مصادر الإلهام الحاضر في نسيج الشاعر. وللمبدع الفلسطيني محمود درويش تجربة خاصة في هذا المجال، فقد احتلت ظاهرة الفصول مكانة راجحة في شعره بمفاهيم عديدة. وبُني هذا البحث على المنهج الوصفي _ التحليلي للكشف عن ظواهر الفصول التي يزخر بها شعره، فتظهر متنوعة بشكل إبداعي بين الخريف والشتاء والربيع والصيف، لذا؛ محاولتنا في هذه الدراسة هي التعرف والوقوف على أهم هذه التجليات ومتعلقاتها التي خلقها الشاعر.

كلمات مفتاحية: *الفصول، التجليات، المتعلقات، محمود درويش.*

Abstract:

This article deals with the topic of the aspects of the seasons and their belongings that contain beauty, and which are among the sources of inspiration present in the poet's fabric. The Palestinian creator Mahmoud Darwish has a special experience in this field, as the phenomenon of the seasons occupied a predominant place in his poetry in many senses. This research was built on the descriptive-analytical method to reveal the phenomena of the seasons that abound in his poetry, so that they appear creatively diverse between fall and winter and spring and summer. Our attempt in this study is to identify the most important of these manifestations and their attachments that the poet created.

***Keywords**: Seasons; Manifestation; Connections; Mahmoud Darwish.*

[*] المؤلف المرسل: علي خضري، الإيميل : Alikhezri@pgu.ac.ir

– مقدمة:

يلعب الشعر العربي دوراً رائداً في الحياة الأدبية والاجتماعية والفكرية والسياسية، وقد تطور مع تطور الشعوب العربية والإسلامية، بسبب العلاقات مع سائر الشعوب المجاورة وغيرها. وفي العصر الحديث تكاثرت الفنون الشعرية وأصبحت متنوعة مثل مفردات الحياة اليومية للتعبير عن رغبات الوطن والأحداث التي تحدث دائما في المجتمع العربي. فنجد العديد من الشعراء يصورون فصول السنة بطرق جميلة، إذ عندما ينتهي القارئ من القراءة تمنحه تلك القصيدة الشعور بالحيوية والشباب، وفي أغلب الأحيان هذا النوع من الشعر يجعل رؤية الإنسان ونظرته للشعر نظره رومانسية وعاطفية. يعد الشاعر محمود درويش من الشعراء الذين أحسنوا استغلال هذه الظاهرة في نتاجاتهم، حيث تم تحديده محوراً لهذه الدراسة.

محمود درويش هو من أبرز الشعراء المعاصرين وله بصمة حميدة في الشعر العربي الحديث. شعره شعر حي نابض يوقظ الإنسان من نومه، ويشعل المشاعر والعواطف الإنسانية، ويثير أرواح الأحرار. لأنه شاعر قضية، شاعر مأساة، ونكبة وفاجعة، نحن نحس من قصائده أنّ الحبيبة والوطن شيئان توأمان وليست الحبيبة شيئاً والوطن شيئاً آخر. ومن خلال بحثنا في شعره وجدنا أنه ركز على استخدام الفصول ومتعلقاتها في شعره، أبرزها الخريف والشتاء والربيع والصيف، لأنه وجد في هذه العناصر طاقات مكثفة ساعدته على إيصال أفكاره ورؤاه إلى باطن القارىء.

يعود اختيار هذا الموضوع إلى عدة أسباب رئيسية: أولاً، كل موسم له محتوى خاص وأشعار مؤثرة تترك أثراً خاصاً في باطن القارئ، ولكل فصل محبوه وعشاقه بكل تفاصيله. ثانياً، هي ملامح الفصول الجغرافية الطبيعية التي تدخل بنى الشعر وتتجاذب مع البنية الإيقاعية للقصيدة. فالشعر يتعامل مع الفصول بصفاء، ويتواجد فيها ويضمها ويزيد وعينا بها، ويجد الشاعر نفسه يتأقلم معها في كل فصل من فصولها.

– هدف البحث:

دراسة تجليات أو مظاهر الفصول ومتعلقاتها التي تحمل عناصر ومعاني ودلالات مختلفة وجميلة في شعر محمود درويش.

- أسئلة البحث:

كيف يجسّد محمود درويش الفصول وما هي غايته من هذه القصائد؟

ما هي الدلالات التي يمزجها محمود درويش بفصول السنة؟

- الدراسات السابقة:

واخترنا الدراسات التي ترتبط إلى حدّ ما بفصول السنة، فأهمّها ما يلي:

دراسة بعنوان "التقاطب المكانيّ في قصائد محمود درويش الحديثة" (2012م) للباحثتين الدكتورة رقية رستم بور ملكي وفاطمة شيرزاده، نشرت في مجلة دراسات في اللّغة العربية وآدابها. توصّلت الباحثتان إلى أهمية المكان والمكونات في النص الشعري والأدب العربي المعاصر، وتركيز محمود درويش إلى منظار الحياة المدنية في شعره.

"دراسة أسلوبية لقصيدة "مطر ناعم في خريف بعيد" لمحمود درويش" (2017م) للباحثتين تونسي سعاد وصيفي القايمة، بجامعة أكلي محند أولحجاج البويرة. توصّلت الباحثتان إلى أن قصيدة "مطر ناعم في خريف بعيد" بمثابة مرآة للشاعر محمود درويش، الذي عاش مرارة الاحتلال، فاستخدم هذه القصيدة وسيلة للتعبير عن مشاعره التي تنوعت بين حب الوطن والكراهية الشديدة للمستعمر.

رسالة بعنوان "الشتاء في الشعر الجاهلي" (2018م)، للباحث حسين بن علي بن سلمان العجمي بجامعة نزوى، وتبين لنا هذه الرسالة الأسماء التي أطلقها العرب على فصول السنة والشعراء الذين استثمروا في رسم أنواع الصور لفصول السنة.

مقال بعنوان "تمثال زمستان درشعرنيما يوشيج ومحمد الماغوظ برپايه نقد بومگرا (مطالعه موردى: قصيدة شب‌سرد زمستانى وقصيدة حرب الأعصاب" (1399)، من إنتاج الباحثتين صابرة سياوشي وزينب مهدوي بيله‌ور، يبين لنا هذا المقال استخدام الشاعر يوشيج والشاعر الماغوط للطبيعة في قصائدهما (شب زمستاني وحرب الأعصاب) وكل هذا يظهر لنا ثقل فصل الشتاء وتلك الأجواء السياسية الحاكمة التي تظهر كصورة جميلة للمتلقي طوال هذا الفصل.

دراسة بعنوان "تمظهرات الالتزام في شعر ثورات الربيع العربي من منظور الرؤية والتشكيل قصيدة " الأرض قد عادت لنا" لفاروق جويدة نموذجا" (١٤٠٠)، لجمال طالبي

قرهقشقاهي، نُشرت في مجلة لسان المبين، وتبين لنا هذه الدراسة أنّ فاروق جويدة يجسد موقفه الملتزم من الواقع السياسي ويظهر للمتلقي من خلال هذه القصيدة كيفية وقوف الشاعر في الجبهة المعارضة للحاكم.

1. سيرة محمود درويش

محمود درويش شاعر فلسطيني يُعد من أبرز شعراء المقاومة الفلسطينية. ولد في قرية البروة التي تقع قريبا من عكا. وتميز الشاعر عن أقرانه من شعراء الأراضي المحتلة بغزارة إنتاجه، وبساطة التعبير، وشمولية المضمون، وعمق الفكرة. وهي خصائص لم تميزه عن زملائه الشعراء الفلسطينيين المنفيين داخل الوطن فحسب، بل هي أيضاً خصائص ميزته في مسيرة الحركة الشعرية الحديثة، التي يعتبر درويش أحد أهم رموزها وأعمالها. أصبح درويش ظاهرة مميزة في الحركة الشعرية الحداثية العربية. ووصل إلى مرحلة جعلته في مصاف الشعراء العالميين. ومن مؤلفات هذا الشاعر البارز يمكن أنّ نذكر: "أوراق الزيتون"،" عاشق مِن فلسطين"، "آخر الليل"، "العصافير تموت في الجليل"، "حبيبتي تنهض من نومها"، "أحبك أو لا أحبك"، "لا أريد لهذه القصيدة أن تنتهي"، "أثر الفراشة"، "كزهر اللوز أو أبعد"، "محاولة رقم 7"، "أعراس"[1].

2. مفهوم الفصول

الفصول هي نتيجة لدوران الأرض حول الشمس والانحراف المحوري للأرض عن مسير الشمس. واختلف العرب في تقسيم السنة: فقسمها بعضهم إلى أربعة أزمنة، ولكل موسم سبع فترات[2]. قال أبو حنيفة "إن العرب تبدأ فتقسم السنة إلى نصفين شتاء وصيف[3]. وقال ابن قتيبة "الأزمنة أربعة: الربيع وهو عند الناس الخريف وسمته العرب ربيعاً لأن المطر يكون فيه، وسماه الناس خريفاً لأن الثمار تخترف فيه ثم الشتاء ثم الصيف وهو عند الناس الربيع ثم القيظ وهو عند الناس الصيف[4]. ويرتبط تعريف عدد الفصول جزئيا بثقافة كل أمة. لأن الفصول والمواسم المختلفة والمتنوعة تعيد للإنسان دائما ذكريات ومشاعر راقية. ولهذا السبب، في كثير من الأحيان، نرى الشعر يميل نحو عناصر الفصول، مثل الخريف والشتاء والربيع والصيف. وعندما نتحدث عن الفصول في نص شعري، فإننا لا نتحدث عن الفصول

الجغرافية، بل عن البعد العاطفي والنفسي للفصول، البعد الذي ينقل الإنسان إلى عالما ثان. وهكذا تتكون الفصول من حالتين مختلفتين تماما: حالة الجغرافيا التي لا نوليها اهتماماً كبيراً في هذا المقال، والحالة الأخرى هي الإحساسية التي تظهر من الفصول من خلال هذه الموهبة الفنية التي يمتلكها الشاعر. فعندما يخرج شعر الفصول من حالة الجغرافيا التي ندركها بحواسنا إلى حالة الفن، نرى من خلالها وصفاً خارجيا، قادماً من خيال الشاعر وإبداعه.

3. فصول السنة في إبداعات محمود درويش

الفصول من النعم الكبرى التي تجعل للحياة على سطح الأرض نكهة وجمالا. لكل فصل نكهة خاصة وأسلوب حياة خاص يبعث الأمل ويمنع الملل من التسلل إلى روح الإنسان. الفصول هي السيمفونية التي تعزفها الأرض على إيقاع الحياة. وكما أنّ الشعر يحتوي على المعرفة ويمتد عبر الزمن، كذلك الفصول تمتد عبر الزمن. ونرى الشاعر محمود درويش يجد ذاته في هذه الفصول وكأنها موجودة في نسيجه الذهني، تمتزج بلغته الشعرية وتصبح مثل كتاب أبيض بين يدي الشاعر محمود درويش، ليرسم عليه ما يمر في مخيلته. ويقدم لنا صورة أدبية من خلال لغته الشعرية المبدعة التي تخلق أجواء مختلفة مثل الحب والأمل و... للمتلقي. فمن الآن سنتناول أوصاف الفصول وتجلياتها وتحولاتها في أشعار محمود درويش.

1.3. فصل الشتاء

يعتبر الشتاء أبرد فصول السنة في المناخات القطبية والمعتدلة، وأضوائه هي الهناء والنثرة والطارف والجبها والزبرة والطرفة[5]. ومن يتابع الشعر العربي القديم والحديث يجد أنّ فصل الشتاء هو الأوفر حظاً في الشعر العربي. وسنرى ماذا فعل بالشعراء هذا الفصل الذي يقع بين الخريف والربيع ويعتبر وحياً وإلهاماً للشعراء العرب، ومنهم شاعرنا محمود درويش الذي يصف الشتاء وتجلياته المختلفة في أبياته التالية.

"كُنْتُ في ما مضى أَنحني للشتاء احتراماً
وأصغي إلى جسدي. مَطَرٌ مطر كرسالة
حب تسيلُ إباحيَّةٌ من مُجُون السماء
شتاءٌ نداءٌ صدى جائع لاحتضان النساء
هواءٌ يُرَى من بعيد على فرس تحمل الغيم... بيضاءَ بيضاءَ..."[6]

من خلال هذه القصيدة والكلمات التكرارية الممتزجة بالإبداعات كـ(مطر، شتاء، بيضاء، البعد) ندخل إلى عالماً يأخذنا لماضي الشاعر ومشاعره وذكرياته التي جعلته يخلق من الشتاء حالات مختلفة، ومن هذه الحالات والمواقف تتجلى صور إبداعية ورائعة. أولها يولي للشتاء احتراماً خاصاً ويشبهه برجل كبير السن الذي الانحناء أمامه واجبا، فهذا الفصل بمجيئه يبين لنا مدى حب الشاعر له، هذا الحب الذي أثر في أفكاره وجعله يبدع فيه، بلغته الشعرية الماهرة التي من خلالها نرى أثر الشتاء في جسد الشاعر وجعله يحس بشدة الحنين والاشتياق بدلاً من شدة البرد. فيصف آثار الشتاء، ومن بينها المطر الذي يهطل على الأرض ويحمل معه تجليات ورسائل تدل على مظاهر الخير والبركات، فيخرج من أجواء الاحترام إلى رحاب الرومانسية، حيث يتحدث عن قدوم الشتاء الذي يجلب معه طلبات القلوب لاحتضان الأحباب. يصور رياح الشتاء كفارس شجاع يمتطي صهوة جواده، حاملاً معه أخبار السعادة التي تشرق من البياض الناصع، رمز السلام والأمان. هكذا في النصوص التالية ينسج لنا خيوط قصة عشقه:

"كنت أُحبُّ الشتاء
وأَمشي إلى موعدي فرحاً
مرحاً في الفضاء المبلّل بالماء
كانت فتاتي تنشِّفُ شعري القصير بشعر طويل
تَرَعْرَعَ في القمح والكستناء ولا تكتفي
بالغناء: أنا والشتاء نحبُّكَ، فابْقَ
إذاً مَعَنا! وتدفئ صدري على شادِنَيْ ظبيةٍ ساخنين..."[7]

من خلال هذا السياق نرى أحد أسباب حب الشاعر للشتاء وهو الموعد الذي كان يذهب فيه لرؤية حبيبته، فهنا يحصل ارتباط وثيق بين الفن الرومانسي الإحساسي وتجليات فصل الشتاء، فهذا الفن ومظاهره أعطى الشاعر مساحة كبيرة ليخلق صورة واقعية عاشها مع معشوقته، وجعل المتلقي يعيش معه لحظات الدلع والمودة التي خرجت بنغمة جميلة من فم معشوقته عندما بدأت بالغناء، وكأنها نار أدفأت بها شاعرنا العاشق. ونشاهد أيضاً جمال الوعد بالبقاء إلى جانب المحبوب عندما يكون تلك الوعد حقيقيا، فيبرز منه أسلوب شعري يأخذ المتلقي معه إلى عالم العشاق. ويحكي أيضاً عن حبه للشتاء في كلماته التالية:

"أولاً . خَلَلاً في شراييها وضغطَ دمٍ مرتفعْ
ثانياً . خجلاً في مخاطبة الأمّ والأَبِ
ثالثاً . أملاً في الشفاء من الأنفلونزا
بفنجان بابونجٍ ساخنٍ
رابعاً . كسلاً في الحديث عن الظبي والقُبَّرة
خامساً . مللاً في ليالي الشتاءْ
سادساً . فشلاً فادحاً في الغناءْ..."[8]

نشاهد التعالق بين فصل الشتاء وشخصية محمود درويش، ومن شدة حبه للشتاء يحمله معه في كل مكان، حتى في حياته الشخصية وأخلاقه وطباعه والحوادث التي وقعت له، ذكرها واحدة تلو الأخرى، وهنا لا يتجلى من الشتاء إلا الحب والحنان، وتقرب الشاعر إلى بيئته ولحظة ولادته مما أحدث تحولاً نفسياً فكرياً أذهل به المتلقي. فالشاعر من خلال فصل الشتاء وتجلياته خلق لنا الجمل المتتابعة والمتشابهة في البنية التركيبية التي تجعل عنصر الحركة في القصيدة يتبين بسهولة للمتلقي. وهدف القصيدة من العبارات المتشكلة هي إظهار صور ووجوه مختلفة لفصل الشتاء، فهذه الصور تبين لنا أنّ الشتاء متمسك ومرتبط بماضي الشاعر الذي نقل من خلاله مشاعره المختلفة مع تجليات تظهر لنا أنّ الزمن بين مرحلتين من العمر، على الرغم من اختلافهما الكبير.

2.3. دلالات الربيع

لا يخفى على أحد أنّ الربيع بجمال أزهاره وتنوع ألوانه وخضرة أشجاره، وطعم ثماره المختلفة، له أثر إيجابي في نفوس الناس جميعا، كل على حسب درجة ذوقه أو شعوره بما حوله من جمال الطبيعة الساحرة[9]، ولاسيما في هذا الفصل نرى صور جميلة يعبر عنها الشاعر محمود درويش بشكل فني من خلال النص الشعري التالي:

"مَرَّ الربيعُ سريعاً
مثل خاطرةٍ طارت من البالِ
قال الشاعر القَلِقُ"[10]

من خلال هذا السياق يقوم درويش بخلق كلمات مشرقة من فصل الربيع الذي يدل على الحركة الزمنية التي تبعث في المتلقي أحاسيس مفعمة وجميلة. لذا؛ في هذا الموضع نرى

تجليات الربيع تدل على الحركة والسير تجاه المستقبل الذي كان ينتظره الشاعر[11]. فمن بداية هذه القصيدة نشاهد السرعة التي يمر بها فصل الربيع وينتهي، فيأخذنا نحو ذكريات تمر في الأذهان وفي غمضة عين تختفي. ويتجلى لنا من مظاهر هذه الألفاظ الربيعية، تعلق الربيع بالزمن، وسرعة مرور السعادة على بلد الشاعر (فلسطين) الذي لم يكن له نصيب في التفاؤل والفرح الدائم. ومن إبداعات درويش هي الامتزاجات التي ابتكرها عن طريق فصل الربيع وظواهره الجميلة. وهكذا يقول عن المقاومة والربيع في إبداعه التالي:

"وسال الماءُ أحمرَ
في عروق ربيعنا...
أُولى أغانينا دَمُ الحُبّ الذى
سفكتهه آلهةٌ
وآخرُها دَمٌ سَفَكَتْهه آلهةُ الحديد..."[12]

من خلال هذا السياق نرى صور لأحداث وقعت في بلد الشاعر، وآثارها التي أثرت على الربيع وأمطاره التي سقت الأرض بدماء الأبرياء والمقاومين. وتموج في هذه القصيدة تجليات لفظية درامية، تصنع رموزاً للمقاومة الفلسطينية التي تثير الدهشة في باطن القارئ فيما يقرأه ويرن آذانه ثقل الكلمات برنين موسيقايي خلقة درويش في إطار روايته لتلك الأحداث المؤسفة[13]. لقد خلق شعوراً مجرداً وباطنياً بالربيع، فدلالاته الباطنية تمتزج به حاسة البصر كالعرق والدم، وتنبثق منه صور مرئية تؤثر على مشاعر القارئ وحتى المجتمع العربي. نصل إلى متعلق آخر، وهو المكان ذو الذكريات مع الربيع، وإذا أراد الشاعر أنّ يتحدث عن المكان الذي عاش فيه تجربة أو مرحلة من حياته، فإنه ينقلنا إلى عالم بلا حدود من خلال هذه الأبيات التالية:

"يا صاحبي قفا..لنختبر المكان على
طريقتنا: هنا وقعت سماءٌ ما على
حجر وأدمته لتبزغ في الربيع شقائق
النعمان... (أين الآن أغنيتي؟) هنا"[14]

هنا نستطيع أنّ نرى العلاقة القوية بين الشاعر، والمكان الذي فصله وأبعده عن باقي الأماكن كلها فخلق له سماء خاصة بأمطار مخيفة. وما نراه يتجلى من الربيع في هذا السياق

هو الوقوف على الأطلال من بعد زمن طويل الذي يرتبط بامرئ القيس ومشهد الديار القرفة وذكرياتها التي تتعلق بأوضاع المجتمع الفلسطيني[15]. من بعد الربيع ومتعلقاته نشاهد الشعور بالقلق واليأس يظهر في صوره الشعرية للشاعر. ومع هذا كله لم ينطفئ بعد نور الأمل في قلبه، لأن مذكرات محمود درويش لا تخلو من المقاومة والحزم، وإنّ كان شعره شعراً رومانسياً أو عن فصول السنة. وهذا ما قاله عندما مزج كبر السن بفصل الربيع:

"وأَمَّا الربيعْ

فلا يستطيع الوقوف على قدميه

سوى للتحية: أَهلا بكم في صعود يسوعْ."[16]

من خلال هذا السياق نرى النصائح التي تتجلى من هذا الفصل، وتجعل من الربيع الذي يدل على سرعة انتهاء العمر، شيخاً كبيراً في السن كانت حياته قصيرة ومرت سريعاً ولم يكن بإمكانه سوى أنّ يرحب بنا ويقدم لنا بعض النصائح وفي الأخير غادر.

نرى للربيع دلالات مختلفة في شعر محمود درويش: تارة يدل على مستقبل مشرق ينتظره الجميع بما فيهم الشاعر، وتارة يدل على آثار الحرب التي جعلت الشاعر يرى المطر كالدم المراق، وتارة يشير إلى الأماكن والذكريات التي لا تغادر العقل أبدا.

3.3. فصل الخريف

يقع فصل الخريف بين فصلي الصيف والشتاء، وله دور مهم في نقل مكونات شخصية الشاعر، "بما يستوعبه من حمولة دلالية"[17]. لهذا احتل الخريف مكانة كبيرة في مؤلفات شعرائنا الوجدانين في العصر الحديث، الذين عاشوا أيام الاستعمار وعانوا من الممارسات الإجرامية والظلم الذي فرض على كافة فئات وشرائح الشعوف المظلومة كشعب فلسطين. فنرى محمود درويش يصنع من الخريف صور تعلمنا الصمود والصبر والاستقامة. لهذا في الأبيات التالية جعل من التجليات التي تخرج من الخريف مرآة له ليظهر الوضع المرير والصعب الذي يعيشه بسبب الاحتلال.

"مَطَر ناعمٌ في خريف بعيدْ

والعصافير زرقاءُ.. زرقاءُ

والأرض عيد

لا تقولي أنا غيمة في المطارْ
فأنا لا أريدْ
من بلادي التي سقطتْ من زجاج القطار
غير منديل أُمي
وأسباب موت جديد"[18]

واللافت أننا نرى الشاعر يخلق صورة إبداعية لفصل الخريف، مكونة من الحزن والفرح وتصاوير من المطر والطيور الملونة والأرض المليئة بالخير والبركة والنماء. ويحول صورة فصل الخريف التي تتعلق بباطنه الحزين إلى رسمة تبعث رسالة المظلوم للمجتمع العربي والغربي. وهنا ما يتجلى من الخريف هو الحالة البائسة التي يعشها بلد الشاعر، فبُعد الخريف يدل على الصعوبات التي يمر بها الشعب والغربة التي سيطرت على موطنه، الذي حتى أيامه الصعبة تمر كسرعة المطر الناعم الخريفي. وهذا ما يقوله درويش عندما يشعر بالغربة:

"مطر ناعم في خريف غريبْ
والشبابيك بيضاءُ... بيضاءُ
والشمسُ بيّارة في المغيب
وأنا برتقالٌ سليب،
فلماذا تفرّين من جَسَدي
وأنا لا أُريد
من بلاد السكاكين والعندليب
غير منديل أُمي
وأسباب موت جديد"[19]

يحاول الشاعر من خلال التقنيات الفنية أنّ ينقل إحساسه بالحزن للمتلقي، لذا ينتزع من فصل الخريف عبارات تقودنا إلى حقائق معينة، فهذه العبارات: (العصافير، المطر، الأرض، القطار، المطار، السكاكين، العندليب) تجعل المعنى المتخيل أكثر حقيقة فيستقبلها العقل بحالة من الخضوع والقبول[20]. والشاعر جعل لهذه الأبيات الخريفية هدوء خاص حينما وصف المطر الخريفي المتساقط على النوافذ البيضاء. ولكن درويش بسب الاستعمار وباطنه المملوء من الظلم قام بخلق تجليات متضادة في صورة واحدة من خلال الحوادث التي وقعت لبلده في فصل الخريف مثل السكاكين التي تدل على مظاهر العنف، والعناب الذي يدل على

مظاهر المحبة والشعر والغناء. فبسبب التناغم الموسيقي وتكرار الحروف والأساليب الخبرية في هذه الأبيات نرى تجليات فصل الخريف أكثرها تبين شدة حب الإنسان لموطنه. وهكذا يصف لنا المنطقة الريفية وصمود الشعب الفلسطيني:

"مطر ناعم في خريف حزين
والمواعيد خضراءُ... خضراءُ
والشمسُ طين
لا تقولي رأيناك في مصرع الياسمين
كان وجهي مساء
وموتي جَنين
وأنا لا أُريد
من بلادي التي نسيتْ لهجة الغائبين
غير منديل أُمي
وأسباب موت جديد"[21]

وبالتأمل في هذا السياق نرى خروجاً عن المعنى الأصلي للصورة الطبيعية لفصل الخريف واللون الأخضر الذي نعلم جميعاً أنه يعني الخير والبركة والنماء. فيتم تمثيل وتجلي أحوال الفلسطينيين بهذا الفصل الذي يدل على صمودهم وانتصارهم على العدو. فنرى هذا اللون والياسمين والمطر اللطيف الذي يخرج من باطن فصل الخريف، يرسم للعام صورة مستقبل فاخر للفلسطينيين الأحرار. وحالة ظهور الشمس في الخريف تشير إلى النصر القريب لفلسطين، إلا أنّ الحنين إلى الماضي والذكريات يدفع الشاعر إلى وصف مناطق وطنه لنا، مما يعطينا انطباعاً يسمح لنا بتخيل الماضي والحاضر المتدمر على يد المستعمر. ولهذا يدير وجهه نحو السماء ليظهر لنا حالة حزنه، لأن المساء الخريفي يسلب الطاقة الإيجابية والفرح من الإنسان. أما المنديل الذي يتحدث عنه دائما، ينقل لنا رسالة الأصالة والشجاعة والأمومة التي جعلته يبدع بفصل الخريف الذي تتجلى منه هذه الألوان والصور، التي تبعث لنا رسالة المظلومين وتحكي لنا عن شجاعتهم في الدفاع عن الوطن.

4.3. فصل الصيف

فصل الصيف هو أحد فصول السنة الأربعة (الشتاء _الربيع_ الخريف_الصيف) وله حضوره المشرق عبر نصوص الشعراء في الشعر العربي. واختلف العرب في تقسيم السنة فمنهم من قسمه إلى قسمين، وبعضهم قسمه إلى أربعة أجزاء، وبعضهم إلى ستة أجزاء[22]. إلا أنّ الرأي السائد هو التقسيم إلى أربع فترات، ولكل موسم سبع فترات. فمن الطبيعي أنّ تكون الطبيعة جميلة، لاكن إذا أبدع فيها الشاعر زاد جمالها وحينها تتحول إلى صورة متحركة تجذب القارئ نحوها، كما قال درويش عن الصيف في أبياته التالية:

"لا جديد، الفصولُ هنا اثنانِ:

صَيْفٌ طويل كمئذنة في أقاصي المدى

وشتاءٌ كراهبةٍ في صلاة خشوعْ..."[23]

نشعر بنهاية الفصول في هذه القصيدة، حيث يدل الصيف على تكرار الأيام بالنسبة للشاعر، وكأنه لا يشعر بأي جديد، ونظراً للأحداث والمصائب التي تمر بها بلادة، لا يتوقع الشاعر أن تغير يومه تلك الفصول بجمالها الإلهي، إذ نرى وصف شبه بُعد الصيف، والانتظار إلى مجيئه بمئذنة تقع بعيدة عن البيوت وفقط صوتها البعيد الذي ينسمع. وعندما يستمر فصل الشتاء بالبقاء يصفه وكأنه راهبة خاشعة بسبب الإيمان الذي لديها حينما تنحني لا تقوم من السجود بسرعة. ودرويش هكذا يأخذ مكان الصيف عندما وقع في الحب بجنون، في نصوصه التالية:

"وكنت أؤلف فقرة حب..

لعينيك.. غنيتها!

أتعلم عيناكِ أني انتظرت طويلا

كما انتظرَ الصيفَ طائرْ"[24]

يصور الشاعر محمود درويش الحب في أجمل قصائده: هذه السماء الصافية وهذا الجو الصيفي، بينما نرى الشاعر كيف يحول قصيدته الرومانسية إلى أغنية لحبيبته ذات العيون الساحرة التي تجعله يتغزل بها، ونلاحظ هنا الصيف يدل على لقاء تم بعد طول انتظار، لهذا درويش يمزج الصيف بالماضي والذكريات التي عاشها وهو ينتظر لحظة الوصول إلى حبيبته.

فرأينا محمود درويش عندما جمع الفصول في قصائده، كانت نظرته مختلفة ومليئة بالحزن والانكسار. وحينما اجتمعت الفصول كانت لها مظاهر ودلالات مختلفة، بعضها يدل على ثقل الأيام بسبب المشاكل والأحزان التي تجعل ذاكرة الإنسان مليئة بالدموع، وبعضها كانت تدل على الحب والحالة الرومانسية. فالشتاء والربيع تحولا إلى المشيب، والخريف صار للتفكير في ما مضى، ولم يعد الصيف إلا جميلاً من بعيد.

4. خاتمة:

- وتظهر نتائج هذا البحث أن الفصول مرتبطة بحياة الشاعر وماضيه المليء بالذكريات الحلوة والمرة. وقد جعل الشاعر بحماسه للفصول والحياة الاجتماعية من شعره صورة واقعية لأشخاص يتجلى مستقبلهم المشرق من خلال مظاهر هذه الفصول.
- ومن أسباب كثرة محتوى الفصول استخدام اللغة العصرية اليومية، فضلاً عن الخبرة الفنية للشاعر، مما دفعه إلى أخذ جزء من شعره من أجل المقاومة والحب والأمن والألوان والطبيعة...، فنرى في شعره استخدام الكلمات البسيطة التي تخلق إبداعات ومشاعر رومانسية ورمزية.
- لقد وصل الشاعر إلى منعطف مهم، ليس على المستوى الفلسطيني، بل على المستوى العربي، ومنه إلى المستوى الدولي. وأصبح شعره مليئا بالذاتية والدموع والحزن، ومع اهتمامه باللغة والشكل فهو شاعر غنائي.
- لم يستخدم محمود درويش البلاغة لقدراته الفنية فحسب، بل ليصف لنا حبه للفصول التي خلقت له ذكريات جميلة، على عكس تجاربه المريرة في الحياة. فهذه الفصول جعلته ينسى الخيبة وبدأ يخلق منها صور تتجلى منها رسوم إبداعية تلامس بنية العقول والأجساد بكل وجودها.
- وأخيراً ندرك أنّ محمود درويش ينهي قصائده المختلفة بالحزن، الذي يخرج من باطنه صرخة إنسان يفهم الألم الأبدي. ومن خلال تجليات الفصول والمتعلقات المرتبطة بها، يُعرض على القراء أنواع من الصور مثل الألم، والفرح...

- الإحالات والهوامش:

[1]- محمود درويش، الأعمال الكاملة، (2011)، ص359.

[2]– الحسين بن علي بن سلمان العجمي، الشتاء في الشعر الجاهلي دراسة موضوعية فنية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة نزوى عمان، 2018، ص12.

[3]- أبو علي محمد بن الحسن المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، تحقيق محمد نايف الدليمي، (2002)، ص149.

[4]- محمد بن مسلم ابن قتيبة، أدب الكاتب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، (١٣٣٨)، ص86.

[5]- المصدر السابق، ص114.

[6]- محمود درويش، الأعمال الكاملة، (2011م)، ص359.

[7]- المصدر السابق، ص359.

[8]- المصدر السابق، صص27-28.

[9]-ثائر سمير حسن الشمري، لمحات من وصف الربيع في الشعر العباسي، (2012م)، ص7.

[10]- محمود درويش، الأعمال الكاملة، (2011م)، ص244.

[11]– ناصر زارع، والآخرون، جمالية الاستعارات المفهومية في ديوان :أثر الفراشة" لمحمود درويش، (2020)، ص67.

[12]- محمود درويش، الأعمال الجديدة الكاملة، (2009)، ص50.

[13]- علي عندليب، والآخرون، عملية التأويل في نطاق تلقي المفارقة قصيدة نزف الحبيب شقائق النعمان لمحمود درويش، (1399)، ص129.

[14]- محمود درويش، الأعمال الكاملة، (2011م)، صص83-84.

[15]– أحمد زهير رحاحلة، تجليات التناص في ديوان محمود درويش الأخير "لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي"، (2015)، ص466.

[16]- محمود درويش، الأعمال الكاملة، (2011م)، ص222.

[17]- حمود بن محمد النقاء، منطلقات الحزن في ديوان "ويورق الخريف" للشاعر عيسى جربا، (2021)، ص827.

[18]- محمود درويش، الأعمال الجديدة الكاملة، (2009)، ص268.

[19]- المصدر السابق، صص268-269.

[20]- سعاد تونسي، صفي القايمة، دراسة أسلوبية لقصيدة "مطر ناعم في خريف بعيد" لمحمود درويش، (2017)، ص42-46.

[21]- محمود درويش، الأعمال الجديدة الكاملة، (2009)، ص269.

[22]- الحسين بن علي بن سلمان العجمي، الشتاء في الشعر الجاهلي دراسة موضوعية فنية، (2018)، ص16.

[23]- محمود درويش، الأعمال الكاملة، (2011م)، ص222.

[24]- المصدر السابق، ص69.

- قائمة المراجع

– بن علي بن سلمان العجمي، الحسين، الشتاء في الشعر الجاهلي دراسة موضوعية فنية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي القديم، عمان، جامعة نزوى، 2018.

– بن محمد النقاء، حمود ، (2021)، منطلقات الحزن في ديوان "ويورق الخريف" للشاعر عيسى جربا، مجلة كلية دار العلوم، المجلد38، العدد137، الصفحات 817–870.

– بن مسلم ابن قتيبة، محمد، أدب الكاتب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، د.ط، المطبعة الرحمانية، مصر، 1338.

– تونسي، سعاد، صفي القايمة، دراسة أسلوبية لقصيدة "مطر ناعم في خريف بعيد" لمحمود درويش، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس، الجزائر، جامعة أكلي محند أولجاج _البويرة_، 2017.

– درويش، محمود، الأعمال الجديدة الكاملة، د.ط، رياض الريّس، بيروت، 2009.

– درويش، محمود، الأعمال الكاملة، د.ط، المصرية للنشر والتوزيع، 2011.

– رحاحلة، أحمد زهير، (2015)، تجليات التناص في ديوان محمود درويش الأخير "لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلّد42، العدد 2، الصفحات 463–473.

– زارع، ناصر، والآخرون، (2020)، جمالية الاستعارات المفهومية في ديوان :أثر الفراشة" لمحمود درويش، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية، المجلد3، العدد ٢٧، الصفحات 61–79.

– سمير حسن الشمري، ثائر، (2012)، لمحات من وصف الربيع في الشعر العباسي، مجلة كلية التربية الأساسية، المجلد1، العدد8، الصفحات 7–26.

– عندليب، علي ، والآخرون، (١٣٩٩)، عملية التأويل في نطاق تلقي المفارقة قصيدة نزف الحبيب شقائق النعمان، لمحمود درويش، مجلة بحوث في اللغة العربية، العدد ٢٧، الصفحات 121–136.

– محمد بن الحسن المرزوقي، أبو علي، الأزمنة والأمكنة، تحقيق محمد نايف الدليمي، ط1، عالم الكتب، بيروت، 2002.

- References

- Bin Ali Bin Salman Al-Ajmi, Al-Hussein, Winter in Pre-Islamic Poetry: An Objective and Artistic Study, a thesis submitted for a master's degree in ancient Arabic literature, Oman, University of Nizwa, 2018.
- Bin Muhammad Al-Naqa, Hamoud, (2021), The starting points of sadness in the collection "And Autumn Leaves" by the poet Issa Jarba, Journal of the College of Dar Al-Ulum, Volume 38, Issue 137, pages 817-870.
- Bin Muslim Ibn Qutaybah, Muhammad, Adab Al-Katib, edited by Muhammad Muhyi Al-Din Abdul Hamid, 1st ed., Al-Rahmaniyah Press, Egypt, 1338.
- Tounsi, Sa'ad, Safi Al-Qa'ima, A Stylistic Study of the Poem "Soft Rain in a Distant Autumn" by Mahmoud Darwish, a thesis submitted for a Bachelor's Degree, Algeria, Akli Mohand Ouljaj University - Bouira - 2017.
- Darwish, Mahmoud, The Complete New Works, 1st ed., Riad Al-Rayyes, Beirut, 2009.
- Darwish, Mahmoud, The Complete Works, 1st ed., Al-Masryia for Publishing and Distribution, 2011.
- Rahahla, Ahmed Zuhair, (2015), Manifestations of Intertextuality in Mahmoud Darwish's Latest Collection "I Don't Want This Poem to End", Journal of Humanities and Social Sciences, Volume 42, Issue 2, pp. 463-473.
- Zare', Nasser, and others, (2020), The aesthetics of conceptual metaphors in the collection: "The Butterfly Effect" by Mahmoud Darwish, Journal of Studies in Humanities, Volume 3, Issue 27, Pages 61-79.

- Samir Hassan Al-Shammari, Thaer, (2012), Glimpses of the Description of Spring in Abbasid Poetry, Journal of the College of Basic Education, Volume 1, Issue 8, Pages 7-26.
- Andaleeb, Ali, and others, (1399), The Interpretation Process in the Scope of Receiving the Paradox of the Poem "The Beloved Bleeds Anemones", by Mahmoud Darwish, Journal of Research in the Arabic Language, Issue 27, Pages 121-136.
- Muhammad bin Al-Hasan Al-Marzouqi, Abu Ali, Times and Places, edited by Muhammad Nayef Al-Dulaimi, 1st ed., Alam Al-Kutub, Beirut, 2002.